الفصل الثالث

النبي موسى عليه السلام في سيناء
الوحي والتشريع والصراع
مع بني إسرائيل

obeikandi.com

obeikandl.com

النبي موسى عليه السلام في سيناء

لاشك أن مرحلة وجود النبي موسى عليه السلام وبني إسرائيل بعد خروجهم من مصر وتوجههم إلى سيناء هي من أهم المراحل وأخطرها في حياة هؤلاء، وفيها محطات وتساؤلات عديدة ترتبط بالجغرافية والعنصر البشري والعقيدة والتشريع.

لاشك أن الكثيرين يتساءلون عن المنطقة البحرية التي تمت فيها معجزة الله بشق البحر.

والواقع ليس لدى علماء الآثار أو علماء التاريخ أي دليل على المنطقة التي حدثت فيها المعجزة، وفي إطار التخمين نرى أنه من الممكن حدوث هذه المعجزة في أقصى بقعة من خليج السويس.

وإذا نظرنا إلى جغرافية المنطقة التي حدثت فيها تلك الأحداث نرى أن بني إسرائيل انطلقوا من جاسان باتجاه الجنوب حتى وصلوا إلى بعل صفون شمال خليج السويس، وكان من المفترض حسب سيرهم ألا يعبروا بحراً ولا ماءً، إنما يسيرون على الجانب الشرقي لخليج السويس حتى يصلوا إلى جبل حوريب أو ما يسمى طور سيناء.

لكن هناك افتراض أن الطريق الذي سلكوه ينزل من جاسان جنوباً حتى وصلوا المنطقة الشمالية من خليج السويس، وأرادوا العبور تحت الضغط الفرعوني فتمت المعجزة آنذاك فانشق الماء إلى قسمين، وما بين الشاطئين ليس بعيداً جداً وليس عميقاً، إذ هو أقرب إلى البر في شمال الخليج.

على أية حال، تواجه الباحث مشكلة تشابه الأسماء بين جنوب سيناء وشمالها، فهناك جبل حوريب في الشمال، وهناك جبل حوريب في الجنوب، وما جاء في سفر الخروج 17/ 6 يرى أن جبل حوريب موجود في نفس منطقة العماليق الذين كانوا يسكنون النقب والنقب في فلسطين، وهذا يناقض الواقع، لكن ما يرجح وجود جبل حوريب هو إطلاق اسم طور سيناء على الجبل الذي تلقى فيه النبي موسى عليه السلام

الرسالة، إضافة إلى وجود الواد المقدس طوى، إضافة للقاء الذي حدث بين موسى عليه السلام والعبد الصالح قرب البحر والذي ورد ذكره في سورة الكهف، إضافة لوجود المديانيين الذين صاهرهم موسى عليه السلام وهم على الجانب الشرقي من خليج العقبة.

ومع ذلك فإن ما يُطرح بهذا الشأن ليس سوى افتراضات قد ترجح بعضها على بعض وقد يرجح غيرنا عكس ترجيحنا، ويبدو من ظاهر الأشياء أن النبي موسى عليه السلام قاد بني إسرائيل في طريق يعرفه وهو الطريق الذي سار فيه ليصل إلى مديان، ثم في عودته إلى مصر تجلى الله له في جبل سيناء الذي يُسمى عند التوراتيين جبل حوريب، أو جبل الرب.

بنو إسرائيل في سيناء:

يقول تعالى: ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (سورة الأعراف: 138 ـ 140).

من الواضح تماماً أن بني إسرائيل نجاهم الله من فرعون ومن البحر، ودخلوا سيناء، وبمجرد دخولهم مرّوا بقوم يعبدون آلهة أصناماً فدبت الغيرة والذكرى في قلوبهم فطلبوا من النبي موسى أن يجعل لهم إلهاً مثل هؤلاء القوم.

ومن الواضح أيضاً أن بني إسرائيل الذين قادهم النبي موسى عليه السلام إلى سيناء لا يعرفون شيئاً عن ديانة التوحيد، وقد ظنوا أن موسى عليه السلام قادهم ليصنع لهم عقيدة وثنية كما للمصريين وللأقوام الوثنية الأخرى، لذلك وصفهم النبي موسى عليه السلام بأنهم قوم يجهلون ولا يعرفون التمييز بين عقيدة وثنية وأخرى توحيدية.

ومن المعروف أن المصريين تميزوا بكثرة الآلهة الوثنية وقد تربى بنو إسرائيل في جو عقيدة المصريين ولم يعرفوا عقيدة التوحيد التي كان عليها يوسف والأنبياء وموسى عليه السلام بل سرعان ما انقلبوا عن العقيدة إلى عقيدة أخرى.

obeikandi.com

ويبدو أن بني إسرائيل ظلوا يحاورون أنفسهم بشأن صنع إله لهم، وسار موسى عليه السلام بهم وترك القوم الذين يعبدون الأوثان حتى وصل إلى جبل سيناء الذي جرى فيه تنزيل الرسالة على النبي موسى عليه السلام.

بعد ذلك نواجه ما قالته التوراة بشأن الذات الإلهية والتجليات التي جاءت على ذكرها التوراة، وهي في مجملها تجسيد لذات الله وتجديف عليه، وسنرى كيف كان القرآن واضحاً في الحديث عن تجليات الذات الإلهية لموسى عليه السلام وكيف أنزل الرسالة عليه.

تقول التوراة: **فلما كلم موسى الشعب بما قاله الرب قالوا كل ما تكلم به الرب نفعله فقال الرب لموسى اذهب إلى الشعب وقدسهم اليوم وغداً وليغسلوا ثيابهم ويكونوا مستعدين، لأنه في اليوم ينزل الرب أمام عيون كل الشعب على جبل سيناء وتقيم للشعب حدوداً من كل ناحية وتحذرهم من أن يصعدوا إلى الجبل أو يمسوا طرفه لئلا يقتلوا أو يرجموا أما عند صوت البوق فإنهم يصعدون إلى الجبل.** (خروج 19: 8ـ 13).

وفي اليوم الثالث صارت بروق ورعود وسحاب ثقيل على الجبل ووقفوا أسفل الجبل، وكان جبل سيناء كله يدخن لأن الرب نزل عليه بالنار وارتجف كل الجبل جداً فكان صوت البوق يزداد اشتداداً وموسى يتكلم والله يجيبه بصوت.

وأمر الله موسى أن يصعد إليه ومعه هارون وحذر الكهنة والشعب أن يصعدوا حتى لا يبطش بهم.

ما الذي نفهمه من هذا النص؟ الواقع أن الذي نفهمه أن انفجاراً بركانياً وقع في جبل فصار يدخن ويهتز وخاف الناس من الاقتراب إليه.

لكن الذي يفسد المنظر المرعب أن التوراة تقول إن الرب ينزل على الجبل أمام عيون كل الشعب، فكيف ينزل الرب على الجبل وكيف تراه عيون كل الشعب؟ فهل لله شكل محدد وحجم محدد حتى ينزل على الجبل، وهل الله سبحانه يُري نفسه للناس؟ أليست هذه وثنيةً وجرأةً على ذات الله.

o p e l k a n . c o m

وتقول التوراة: وحذر الكهنة، فهل كان كهنة في ذلك الوقت، إن الله لم يكن قد أمر موسى ﷺ بإجراءات أو طقوس ليقوم بها الكهنة. وقد تم اختيار هارون للكهنة فيما بعد وليس في هذا الوقت، ولكن يبدو أن كاتب التوراة غفل بسبب غبائه عن هذه المسألة فوقع في الخطأ الفادح، ويبدو أن عقلية هؤلاء ما تزال مرتبطة بالمؤثرات الوثنية، ولعل كاتب التوراة لم يفارق تلك الوثنية الفجة.

ولنلاحظ ماذا تقول التوراة متابعة مسألة التجسيد والتجسيم:

1 ـ **فقال الرب لموسى ها أنا آتٍ إليك في ظلام السحاب.** (خروج 19: 9).

2 ـ **وأخرج موسى الشعب من المحلة لملاقاة الله فوقفوا في أسفل الجبل وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار، وصعد دخانه كدخان الأتون وارتجف كل الجبل جداً.** (خروج 19: 17 ـ 18).

3 ـ **ونزل الرب على جبل سيناء إلى رأس الجبل.** (خروج 19: 20).

4 ـ **وكان جميع الشعب يرون الرعود والبروق وصوت البوق والجبل يدخن.** (خروج 20: 18).

5 ـ **وأما موسى فاقترب إلى الضباب حيث كان الله.** (خروج 20: 21).

6 ـ **ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل فرأوا الله وأكلوا وشربوا.** (خروج 24: 10 ـ 11).

7 ـ **وكان منظر مجد الرب كنار آكلة على رأس الجبل أمام عيون بني إسرائيل ودخل موسى في وسط السحاب وصعد إلى الجبل وكان موسى في الجبل أربعين نهاراً وأربعين ليلة.** (خروج 24: 17 ـ 18).

من الملاحظ أن التوراة تصر على التجسيم والتجسيد وتصور الإله حاضراً أمام عيون بني إسرائيل وهذا كله من وهم التأليف والمؤلف. وليس هناك أي شيء

من الحقيقة حول ذلك ولو نظرنا إلى القرآن الكريم لوجدنا آياته تتحدث عن هذا المضمون ولكن بصورة لا تجسّد ولا تجسم ولا تتخيل.

يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (سورة الأعراف: 143).

فالله سبحانه يقول لنبيه لن تراني، وهذه حتمية قدرته. فكيف تقول التوراة أن الله كان أمام عيون بني إسرائيل يرونه عياناً.

ولننظر إلى قوله تعالى: ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني، فكيف يستقر الجبل وهو مخلوق من مخلوقات الله وهل يتحمل هذا المخلوق أن يتجلى الله سبحانه بقدرته عليه. الواقع أن الآية تقول لنا فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً. ويا للمنظر الرهيب الذي صُعق النبي موسى لما رآه وغاب عن الوعي.

فكيف تستسهل التوراة لقاء موسى بربه عياناً وكيف تجرؤ على قولها إن عيون بني إسرائيل كانت ترى الله. فما هو هذا الإله الذي يُري نفسه للناس؟

ثم ما هذا الإله الذي تحته مكشوف وفوقه مكشوف، ويقولون كشبه عقيق تحته أو تحت رجليه شبه عقيق أزرق شفاف. إن كل هذه الأوصاف الوثنية استقاها كاتب التوراة مما فعله البابليون في معابدهم الوثنية. وكأنه يتصور إله بني إسرائيل كالإله مردوخ إله البابليين.

ويقول تعالى: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾ (سورة الأعراف 155).

لقد اختار موسى سبعين رجلاً من قومه ليشهدوا ماذا نزل على موسى من أوامر وليس لرؤية الله كما تقول التوراة. وعلى الرغم من ذلك فقد أخذتهم الرجفة

أي الهزة الأرضية التي كادت تقضي عليهم لتنذرهم وتحذرهم وتذكرهم بما فعل السيئون منهم. ومن بني إسرائيل على العموم.

ماذا تلقى النبي موسى من تعاليم وهو في ميقات الله؟

قبل أن ينزل الله سبحانه على موسى الشريعة التي كُتبت حسب النص التوراتي على لوحين تفرد التوراة عدداً من الإصحاحات وهي 25 ـ 26 ـ 27 ـ 28 ـ 29 ـ 30 ـ 31 للحديث عن صناعة تابوت العهد. وتأتي على تفصيلات دقيقة تُدخل القارئ في متاهات كبيرة. ولعل ما يلفت النظر في هذه الإصحاحات التركيز على الذهب كعنصر أساسي في صناعة هذا التابوت وهو صندوق لا يتجاوز طوله السبعين سنتمتراً وعرضه الخمسين سنتمتراً.

وإذا نظرنا إلى هذه الإصحاحات لا نجد فيها أي تشريع ولا نصوص تتحدث عن العقيدة بأبوابها الواسعة، سوى الحديث عن يوم السبت والاستراحة فيه لأنهم يعتقدون كما تقول التوراة أن يوم السبت كان يوم استراحة للرب **(وفي اليوم السابع استراح وتنفس)** خروج 31: 17 وحول هذه الأوصاف التي تحدثت عنها التوراة يرد ألف سؤال وسؤال.

فمن أين جاء بنو إسرائيل بالذهب والفضة. وكيف تم الحصول على نقوش حجارة وترصيع وكيف تمت نجارة الخشب ومذبح البخور ومذبح المحرقة والقاعدة والثياب المنسوجة والثياب المقدسة لهارون الكاهن ـ حسب وصف التوراة.

وكيف تمت صناعة مذبح إيقاد البخور من خشب السنط. وهل يوجد خشب سنط في صحراء سيناء؟ وعندما تقول التوراة: تغشيه بذهب نقي سطحَه وحيطانه حواليه وقرونه وتصنع له إكليلاً من ذهب حواليه وتصنع له حلقتين... الخ. فإن هذه الأوصاف التي ينسبون لله تفصيلاتها ليست سوى أوصاف المعابد الوثنية التي رآها كاتب التوراة في بابل.

obeikandl.com

وحقيقة التابوت تقول إنه صندوق عادي صنعه النبي موسى ليحفظ فيه ما تبقى من الألواح وبعض الأدوات كالعصا التي أفادت النبي موسى في عدة مواقف، ووعاء المن والسلوى كما تقول التوراة.

والمهم في هذه الأسفار وهي سبعة أسفار أنها تُكرس لوصف هذا التابوت داخلاً وخارجاً.

بينما لا تعير هذه الأسفار أي أهمية للغاية التي ذهب من أجلها النبي موسى لتلقي الرسالة.

وبينما كان موسى عليه السلام في ميقات ربه الذي استغرق أربعين يوماً وأربعين ليلة إذا ببني إسرائيل ينحازون إلى عقيدة أخرى. وتذهب كل مواثيقهم هباءً منثوراً. وكأنهم ما عاهدوا ولا قالوا: (**نستمع لكل كلام الرب**).

فبمجرد شعورهم بأن النبي موسى عليه السلام قد أطال المكوث على الجبل راحوا يفتشون صيغة جديدة للإله.

تقول التوراة: «**ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه. فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها. فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً. فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر. فلما رأى هارون بنى مذبحاً أمامه ونادى هارون وقال غداً عيد للرب**» (خروج 32: 1 ـ 5).

فهذا النص يشير إلى أن النبي هارون كفر بربه الواحد وانحاز لعبادة الوثن أو الصنم الذي هو عجل من ذهب، ولم يأتوا على ذكر السامري الذي صنع العجل.

ومن الطبيعي أن هارون عليه السلام نبي مرسل وحاشا أن يفعل كما قالت التوراة.

وفي المقاطع التالية في التوراة يُنسب إلى النبي موسى عليه السلام تحميل مسؤولية انحراف بني إسرائيل إلى أخيه هارون، ثم تبين التوراة أن هارون ضعيف الشخصية

استطاع بنو إسرائيل إخضاعه وإقناعه بصناعة هذا العجل. وهذا غير صحيح وتلفيق وتشويه للنبي هارون عليه السلام.

وترتبط قصة العجل بقصة الألواح التي كتبت عليها الشريعة.

تقول التوراة في ذلك: «**قال الرب لموسى اذهب انزل لأنه قد فسد شعبك الذي أصعدته من أرض مصر زاغوا سريعاً عن الطريق الذي أوصيتُهم به صنعوا لهم عجلاً مسبوكاً وسجدوا له وذبحوا له وقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر**» (خروج 32: 7 ـ 8).

وتتابع التوراة: «**فانصرف موصى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة في يده، لوحان مكتوبان على جانبيهما من هنا ومن هنا كانا مكتوبين واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين**» (خروج 32: 15 ـ 16).

وتقول: «**وكان عندما اقترب إلى المحلة أنه أبصر العجل والرقص. فحمي غضب موسى وطرح اللوحين من يديه وكسّرهما في أسفل الجبل. ثم أخذ العجل الذي صنعوا وأحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعماً وذرّاه على وجه الماء وسقى بني إسرائيل**» (خروج 32: 19 ـ 20).

وقال موسى لهارون: «**ماذا صنع بك هذا الشعب حتى جلبت عليه خطية عظيمة**» (خروج 32: 21).

وفي هذا النص عدة مسائل:

1 ـ نزل النبي موسى من الجبل ومعه لوحان وليست ألواحاً.

2 ـ تقول التوراة اللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة منقوشة على اللوحين.

3 ـ كسّر النبي موسى اللوحين في أسفل الجبل.

4 ـ أخذ العجل الذهبي أحرقه بالنار وطحنه وذرّاه على وجه الماء وسقى بني إسرائيل.

وحينما نبدأ من المسألة الرابعة نتساءل لماذا طحن النبي موسى العجل الذهبي ثم رشه على وجه الماء ثم سقى بني إسرائيل من الماء.

وإذا كان العجل مصنوعاً من الذهب فهل يطفو فوق سطح الماء حتى لو كان مطحوناً كالطحين لماذا سقى موسى بني إسرائيل من الماء الذي رش عليه الذهب المطحون. وما غايته من ذلك؟ بالطبع لا نجد تفسيراً لذلك، إنما نخمّن الأمور تخميناً والله أعلم هل فعل موسى ذلك أم لم يفعل.

وإذا فعل ذلك فإن ما يبدو من القصة هو عقاب بني إسرائيل أولاً ثم البرهان على أن ما عبدوه لا ينفع ولا يضر.

أما المسألة الثالثة، فإن التوراة تورد أن النبي موسى كسر اللوحين. بمعنى أن كل ما كُتب من تشريع ضاع بسبب تكسير اللوحين.

أما المسألة الثانية، فتقول التوراة إن اللوحين من صنع الله والكتابة كتابة الله. وكأن الله سبحانه خادم لبني إسرائيل يصنع لهم لوحين ويكتب عليهما بيده، فهو ليس عنده ملائكة يكتبون ويصنعون وليس الله قادراً بأبسط أنواع خلقه أن يقول للشيء كن فيكون. فهذا الكلام التوراتي معهود لدى أصحابه وهو تجسيم وتشبيه وغباء من كاتب التوراة التي ظل الحس الوثني البابلي مسيطراً على دماغه.

ويرى الباحثون في التراث الكنعاني أن الجملة التوراتية التي تقول أحرقه بالنار وطحنه وذرّاه على وجه الماء موجودة في الأساطير الكنعانية التي اكتشفت في أوغاريت بالمعنى نفسه.

ويبدو أن كاتب التوراة الذي اطلع على الحضارة البابلية وأختها الكنعانية استعار مثل هذه الجملة ووضعها في توراته التي ألّفها.

النص القرآني وقصة العجل والألواح

تعتبر قصة العجل بالنسبة لبني إسرائيل من أبرز القصص التي تناولها القرآن الكريم فهي محطة بارزة في حياة بني إسرائيل كونها تشير إلى عدم إيمانهم بالله الواحد الأحد وكونها تشير إلى أن بني إسرائيل ما زالوا متأثرين بعبادة المصريين الوثنية.

يقول تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ (سورة البقرة: 51).

ويقول تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ (سورة البقرة: 54).

ويقول تعالى: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ (سورة البقرة: 92).

ويقول تعالى: ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ (سورة البقرة: 93).

ويقول تعالى: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ (سورة النساء: 153).

ويقول تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ (سورة الأعراف: 152).

ويقول تعالى: ﴿قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ (سورة الأعراف: 148).

ويقول تعالى ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ (سورة طه: 88).

فكما رأينا لقد ورد الحديث عن العجل الذي عبده بنو إسرائيل في ثماني آيات وبعدة سور.

ويقول تعالى: ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟
هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا
﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى
﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾
أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ
فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ
بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى
نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ
وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ (سورة
طه: 87 ـ 97).

ومن خلال الآيات السابقة نتبين ما يلي:

obeikandl.com

1 ـ عبد بنو إسرائيل العجل على الرغم من البينات التي بينها الله لهم على أنه الواحد الأحد. وهي بينات عديدة وفي كليتها معجزات إلهية خارقة لناموس البشر.

2 ـ تشرّب بنو إسرائيل عبادة العجل من زمن وجودهم في مصر واستمروا على حبهم لعبادته.

3 ـ تبين أن السامري هو من صنع لهم هذا العجل وليس للنبي هارون أية صلة بذلك كما قالت التوراة واتهمته أنه هو من صنع العجل.

والواقع حين ندرس عبادات الفراعنة نجد أن أحد آلهتهم العجل الذي كانوا يسمونه أوبيس وقد تأثر بنو إسرائيل بهذه العبادة وظلت ملتصقة بنفوسهم حتى بعد أن رأوا معجزات الله التي أجراها لإنقاذهم.

وجاء في البداية والنهاية أن رجلاً من بني إسرائيل يقال له هارون السامري أخذ ما كان استعاره من الحلي فصاغ منه عجلاً وألقى فيه قبضة من التراب كان قد أخذها من أثر فرس جبريل حين رآه يوم أغرق الله فرعون على يديه، وقيل كانت الريح إذا دخلت دبره خرجت من فمه فيخور كما تخور البقرة فيرقصون حوله ويفرحون.

وحين التقى النبي موسى بأخيه هارون قال له: هلا لما رأيت ما صنعوا اتبعتني فأعلمتني بما فعلوا؟! فرد هارون عليه: إني خشيت أن تقول خرقت بين بني إسرائيل أي تركتهم وجئتني وأنت قد استخلفتني فيهم. وكان هارون قد نهاهم عن فعل هذا الصنيع الفظيع أشد النهي وزجرهم عنه أتمّ الزجر وطلب منهم أن يطيعوه فلم يطيعوه ولم يتبعوه[1].

ثم أقبل النبي موسى إلى السامري فقال: ما خطبك؟ ثم تحدث ابن كثير عن قصة السامري وكيف أخذ قبضة من أثر الرسول ووضعها في صنع العجل الذهبي،

(1) ابن كثير/ البداية والنهاية الجزء 1 ص 254 ـ 255.

وقد عاقب موسى عليه السلام السامري حيث دعا عليه أن لا يمسّ طوال حياته وله حساب يوم القيامة.

ألواحٌ أم لوحان

تذكر التوراة مراراً أن الله أعطى النبي موسى لوحين مكتوب عليهما كثيرٌ من التشريعات ويذكر القرآن الكريم عدة ألواح وليس لوحين.

﴿**وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ**﴾ (سورة الأعراف: 150).

﴿**وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ**﴾ (سورة الأعراف: 154).

تقول التوراة إن موسى كسر اللوحين. وقد أبدله الله غيرها وليس في القرآن ما يدل على ذلك. وليس في اللفظ ما يدل على أن الألواح قد تكسرت.

وهنا لابد من التوقف عند الحديث عن الألواح في القرآن الكريم واللوحين في التوراة.

تقول التوراة إن الله أمر موسى أن يصنع لوحين آخرين بدل اللوحين اللذين كسرهما «**قال الرب لموسى انحت لك لوحين من حجر مثل الأولين فأكتب أنا على اللوحين الكلمات التي كانت على اللوحين الأولين اللذين كسرتهما**» (خروج 34 : 1).

وتقول التوراة: فكتب على اللوحين كلمات العهد الكلمات العشر.

وتقول التوراة: (**ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء لوحي الشهادة لوحي حجر مكتوبين بإصبع الله**). (خروج 23).

وفي التوراة السامرية: كان اللوحان من الجوهر.

ومن خلال قول التوراة: «**فكتب على اللوحين كلمات العهد الكلمات العشر**».

نستدل على أن ما كتب في لوحي التوراة عبارة عن كلمات قليلة باعتبار أنها عشر كلمات.

obeikandi.com

والمدقق في الأقوال التوراتية يرى أن اللوحين كانا في يد موسى عليه السلام عندما نزل من الجبل. ثم عندما طرحهما كانا في يديه الاثنتين. وهذا يعني أن اللوحين من حيث الحجم صغيران. بينما نرى أن ما ورد في أسفار موسى الخمسة حسب قول التوراة يحتاج إلى عشرات الألواح. على الرغم من قول التوراة أن اللوحين كانا مكتوبين على الوجهين وكل ذلك لا يتسع لهذا التشريع وهذه الأسفار التي ينسبونها لموسى عليه السلام.

أما القرآن الكريم فيقول الله عز وجل فيه. ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (سورة الأعراف: 145). فالألواح حوت مواعظ عن كل شيء مما يحتاجون له من أمر الدين والدنيا. وهذه المواعظ هي الكلام الذي يفيد الزجر عما لا ينبغي في طريق الدين. والتفصيل هو تبيان للأحكام وعندما نعود إلى قول التوراة إن موسى كسر الألواح وأن الله أعاد كتابة التشريع الموسوي على لوحين جديدين ثم أعطاهما لموسى. نرى أن موسى عليه السلام لن يقدم على كسر الألواح بعد أن مكث أربعين يوماً وهو في تربية روحية فريدة ولا يُعقل أن يفرط بها مهما كان السبب.

أما القرآن الكريم فيقول وألقى الألواح ولا يعني أنها تكسرت. وعندما ذهب الغضب عن النبي موسى أخذ الألواح. أما قول التوراة بأن الله كتب له لوحين جديدين مرفوض والأصح ما قاله المحدّثون بأن الألواح كانت سبعة فرفع منها ستة أسباع وبقي سبع واحد فرفع منها ما كان من أخبار الغيب وبقي منها من المواعظ والأحكام والحلال والحرام[1].

وعندما ينسبون لموسى عليه السلام الأسفار الخمسة ومنها سفر التكوين الذي يتحدث عما سبق فإنهم خاطئون. لأن سفر التكوين دخل عليه التأليف والتحريف. لأن الألواح التي ألقاها موسى فُقد منها ما يخص الغيبيات وبقي التشريع.

---

(1) محمد طه الدرة: تفسير القرآن وبيانه وإعرابه، مجلد 5 ص 86.

من جانب آخر فإن ذهاب موسى عليه السلام إلى ميقات ربه ورد في الإصحاح 31 ـ 32 من سفر الخروج. وهذا يعني أن ما دُوّن في التوراة في سفر الخروج من الإصحاح الأول وحتى الثلاثين كتب قبل أن تنزل الألواح فكيف دُونت واعتُبرت من أسفار موسى الخمسة التي أنزلت عليه، هل كتبها قبل أن تنزل الرسالة عليه أم أن هذه الإصحاحات ليست مما نزل على موسى لأن ليس بها أحكام ولا تشريع ولا حلال ولا حرام. أما كيف احتوى سفر التكوين على قصص الخلق وآدم وأولاده وإبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب وأولاده ويوسف فإن ذلك جاء من خلال التناقل الشفهي بين بني إسرائيل. ولا ريب أن موسى وهارون عليهما السلام ظلا يعلّمان بني إسرائيل التشريع وقصص الكون والخلق والأنبياء الأولين حسبما علمهما إياها ربُّ العالمين وذلك من خلال استمرار الوحي والتعليم الإلهي لموسى وليس شرطاً أن يكون ذلك مما كُتب في اللوحين أو الألواح[1].

وبعد تلقي النبي موسى عليه السلام الألواح راح يلقن بني إسرائيل التشريع. وها نحن مرة أخرى نرى التوراة تعود إلى تجسيد ذات الله بتصورات وخيالات ليس لها علاقة بالحقيقة.

1 ـ فكان كل من يطلب الرب يخرج إلى خيمة الاجتماع التي خارج المحلة.

2 ـ وكان عمود السحاب إذا دخل موسى الخيمة ينزل ويقف عند باب الخيمة، ويتكلم الرب مع موسى.

3 ـ ويكلم الرب موسى وجهاً لوجه كما يكلم الرجل صاحبه.

4 ـ فقال (الرب) وجهي يسير فأريحك فقال له إن لم يسر وجهك فلا تصعدنا من هنا.

5 ـ فقال أرني وجهك... فقال لا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعيش وقال الرب هوذا عندي مكان فتقف على الصخرة ويكون متى اجتاز

(1) د حسن الباش: الكتاب والتوراة/ ص 13.

مجدي إني أضعك في نقرة من الصخرة وأسترك بيدي حتى أجتاز ثم أرفع يدي فتنظر ورائي أما وجهي فلا يُرى.

6 ـ فنزل الرب في السحاب فوقف عنده هناك ونادى باسم الرب فاجتاز الرب قدامه فأسرع موسى وخرّ إلى الأرض وسجد.

وبقية إصحاحات سفر الخروج بدءاً من الإصحاح الخامس والثلاثين وحتى نهاية سفر الخروج حديث مملّ ومفصلٌ عن صناعة تابوت العهد وقد عهد النبي موسى لرجل اسمه بصلْمئيل لصناعة هذا التابوت والألبسة الخاصة بالكهنة الذين انتقاهم النبي موسى وهم من أولاد النبي هارون عليهما السلام.

وإذا عدنا إلى القرآن الكريم وتتبعنا سيرة النبي موسى ﵇ مع بني إسرائيل نرى من البداية حتى النهاية الأمور التالية:

1 ـ موسى عند فرعون وقد تحدثنا عنه في صفحات سابقة.

2 ـ موسى والخروج وتحدثنا عنه في صفحات سابقة.

3 ـ موسى في سيناء وعبادة العجل من قبل بني إسرائيل وقد ورد ذلك قبلاً.

4 ـ موسى والألواح والشريعة وقد سبق ذكره.

5 ـ كتاب موسى والتوراة.

6 ـ الطلب من موسى أن يروا الله جهرة.

7 ـ استسقاء موسى لقومه وضرب الحجر لينفجر ماء.

8 ـ لن يصبروا على طعام واحد.

9 ـ قصة البقرة.

10 ـ قصة قارون. وهو من قوم النبي موسى ﵇.

11 ـ نتق الجبل على بني إسرائيل.

12 ـ قصة النبي موسى والعبد الصالح.

13 ـ ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم. أين هي الأرض المقدسة؟

obeikandi.com

النبي موسى بين الكتاب التوراة

يرد في القرآن الكريم أربع مصطلحات تخص النبي موسى عليه السلام. وهي الصحف، والألواح والكتاب ومصطلح يخص بني إسرائيل وهو التوراة.

وقد جئنا على ذكر شيء فيما يخص الألواح. ويبقى لدينا حديث عن مصطلح الصحف والكتاب والتوراة.

ذكر الله سبحانه الصحف في قوله تعالى: ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ (سورة الأعلى: 19).

فهل هذه الصحف ترتبط بالتوراة أو بكتاب موسى عليه السلام؟

يقول تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ (سورة الأعلى: 14 ـ 19).

فصحف إبراهيم وموسى عليهما السلام حوت تلك الأشياء. وأعتقد أن الله سبحانه لما أمر موسى بالذهاب إلى فرعون كان متسلحاً بتلك الصحف. وليس المقصود الصحف المكتوبة إنما قد تكون كلاماً توجيهياً ألقاه الله على موسى في أول خطوة نبوية خطاها وهي تبليغه بأن يذهب إلى فرعون الذي طغى وقال أنا ربكم الأعلى.

وتتضمن هذه الصحف التعريف بوحدانية الله والإيمان بالآخرة وتأدية الفرائض وبعث الأموات. وهذه القضايا تحدث بها النبي موسى عند فرعون قبل أن ينزل عليه الله سبحانه الكتاب. وليس من إشارة إلى هذه الصحف بالتوراة ولا في أي مصدر آخر غير القرآن. أما الكتاب، فقد ورد ذكره في القرآن الكريم في ثلاثة عشر موقعاً من القرآن الكريم وفي كل موقع كانت كلمة كتاب تقترن باسم النبي موسى عليه السلام.

يقول تعالى:

﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (سورة البقرة: 53).

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ﴾ (سورة البقرة: 87).
﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ (سورة الأنعام: 91).
﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ (سورة الأنعام: 154).
﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾ (سورة هود: 17).
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ﴾ (سورة هود: 110).
﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (سورة الإسراء: 2).
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (سورة المؤمنون: 49).
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴾ (سورة الفرقان: 35).
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ (سورة القصص: 43).
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ﴾ (سورة السجدة: 23).
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ﴾ (سورة فصلت: 45).
﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾ (سورة الأحقاف: 12).

بينما ارتبطت كلمة كتاب ببني إسرائيل عدة مرات. ووردت كلمة أهل الكتاب مرات عدة ويقصد بها اليهود والنصارى.

فالكتاب الذي أنزل على النبي موسى عليه السلام مثل أي كتاب سماوي أنزله الله على أنبيائه يعني كتنزيل الإنجيل وتنزيل القرآن الكريم.

لكن يبدو أن كلمة آتيناه التي خصت الكتاب تدل على أن الله سبحانه آتى موسى الكتاب دفعة واحدة كما أنزل الإنجيل على سيدنا عيسى دفعة واحدة بينما القرآن نزل منجماً على 23 سنة.

ومن خلال الآيات التي مرت معنا نستدل على أن هذا الكتاب الذي أنزل على النبي موسى عليه السلام هو نور وهدى. وعلى أحسن ما يمكن وهو إمام ورحمة يُقتدى به. وهو هدى لنبي إسرائيل. وقد اختلف اليهود في هذا الكتاب، والاختلاف حاصل من

عدة وجوه. فهل اختلفوا في أحكامه وتشريعاته؟ أم اختلفوا في وجوده وعدم وجوده؟ أم اختلفوا في كونه منزلاً من الله أم أنه من صنع موسى عليه السلام؟

وفي هذا الإطار لابد أن نطرح الأسئلة التالية:

هل كتاب النبي موسى هو نفسه ما كتب على الألواح؟

هل كتاب موسى عليه السلام هو نفسه التوراة؟

ما علاقة كتاب موسى بالأسفار الخمسة من التوراة؟

وهل من الممكن القول إن كتاب موسى والتوراة المنزلة هما التوراة التي بين أيدينا اليوم؟

يبدو أن الألواح وأعدادها غير معروفة. فربما كانت سبعة ألواح كما ورد في بعض كتب الحديث أو التفسير. فإذا كان كل لوح قد كتب عليه بعض قضايا التشريع واستكملت على لوح آخر فإن مجموع ما كتب على الألواح شكل ما يسمى كتاب النبي موسى. هذا إذا استبعدنا تماماً ما قالته التوراة عن أن عدد الألواح فقط لوحان.

ومع هذا الافتراض فإن رأياً آخر يقول لنا إن الألواح أو ما كتب فيها قد نُسخ، ولهذا قالوا فإن تفسير قوله تعالى (وفي نسختها) أي أن للألواح نسخة مكتوبة غير ما كتب على الألواح. ويبرز لنا رأي آخر يقول إن الكتاب غير الألواح تماماً إذ هو كتاب أنزل على النبي موسى ككتاب مدوّن.

وما يهمنا من الحديث عن الألواح أن الله سبحانه أنزل كتاب موسى عليه السلام عليه دفعة واحدة. والله أعلم كم عدد صفحاته وما حواه بالتفصيل، ولا ندري سوى أنه آتاه الله للنبي موسى ليهدي بني إسرائيل إلى طريق الحق في العقيدة والتشريع.

رأي في لغة كتاب موسى عليه السلام:

يقول اليهود إن ما أنزل على موسى عليه السلام. في الألواح كان قد كُتب باللغة العربية ويعتبرون هذه اللغة أشرف اللغات لأن الله أنزل الكتاب والتوراة بها.

والواقع أن هذا الكلام مرفوض علمياً وتاريخياً وآثارياً. أما لماذا هو مرفوض فإن ذلك لأسباب عديدة:

1 ـ لم يكن الحرف العبري موجوداً ولا اللغة العبرانية موجودة في زمن موسى عليه السلام.

2 ـ لم تكن لغة النبي موسى التي تحدث بها مع فرعون والمصريين سوى اللغة التي تعلمها في مصر ثم اختلطت بلغة أهل مدين العربية.

3 ـ يعتبر بنو إسرائيل من القبائل التي تحدثت لغة كنعان وهي اللغة التي كان يتكلم بها يعقوب وأولاده حين كانوا يخيمون ويرعون أغنامهم بالقرب من مدينة نابلس التي كانت تسمى شكيم.

4 ـ كان النبي موسى وحده الذي يعرف ماذا أنزل الله ولم يطلع بنو إسرائيل على كتابه ولا على ما أنزل عليه. إنما كان موسى يلقنهم التعاليم بلسانه وبلغتهم دون أن يعطيهم أي شيء مادي من التعاليم ليطلعوا عليه.

5 ـ بعد وفاة النبي موسى عليه السلام لم يعرف أحد أين اختفى كتابه. هل فعلاً ظل محفوظاً في تابوت العهد أم أن بني إسرائيل سرقوه وأخفوه حتى لا يظلوا مطالبين بتعاليمه وبتشريعه.

6 ـ تقول التوراة في آخر سفر التثنية: ولم يقم من بعده نبي في إسرائيل كموسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه. فهذه هي شهادة لم يكن من الممكن أن يدلي بها موسى نفسه أو شخص آخر أتى بعده مباشرة، بل هذه شهادة شخص عاش بعده بعدة قرون وقرأ عن أنبياء عديدين بعد موسى[1].

ويرى الفيلسوف سبينوزا أن سفر التثنية الحالي هو السفر الوحيد الذي يمكن نسبته إلى موسى عليه السلام لأنه قد احتوى على الشريعة التي شرحها النبي موسى. إلا أن ما أضيف عليها يأتي في آخر السفر، خاصة عندما يقول السفر (ولم يقم من بعده نبي في إسرائيل) الخ وقد حوى هذا السفر وصايا خلقية

---

(1) باروخ سبينوزا: رسالة في اللاهوت. نقلاً عن محمد الشرقاوي/ مقارنة أديان بحوث ودراسات ص78.

obeikandi.com

وآداباً شرعية لا ريب أن فيها بقية وحي وآثار نبوة لأنها من معدن التعاليم والآداب التي يدعو الأنبياء لها[1].

أما بالنسبة للاختلاط بين كتاب موسى والتوراة:

فنرى أن الكتاب غير التوراة، لقد آتى الله موسى الكتابَ وأنزل التوراة الحقيقية. والتوراة وهي التعاليم أنزلت على النبي موسى شفاهية من غير كتاب. إذ أن الله سبحانه بعد آن آتى موسى الكتاب ظل الوحي ينزل عليه ويعلمه ويوحي إليه من دون كتابة.

أما ما يقال من أن التوراة العبرانية المؤلفة من 39 سفراً هي كلام الله. فهذا مرفوض، لأن ما جاء في التوراة بعد الأسفار الخمسة الأولى ليست كتباً دينية وإنما هي أسفار تاريخية وأسفار شعرية ونسبت إلى أزمان متباعدة. سجلت تاريخ بني إسرائيل ومن لفالفهم منذ وفاة موسى وظهور يوشع بن نون إلى آخر الشخصيات التي ظهرت بعد النفي البابلي. ولا ننسى أن هذه التوراة العبرانية دوّنت في منتصف القرن السادس أيام وجود بني إسرائيل في بابل والفرق الزمني بين وجود موسى وتدوين التوراة لا يقل عن ستمائة إلى سبعمائة سنة.

لقد ورد ذكر كلمة التوراة في القرآن الكريم في تسعة عشر موضعاً لم يقترن اسم التوراة فيها باسم النبي موسى. ولربما أنزلت التوراة على عدد من الأنبياء ومنهم موسى عليه السلام وقد ورد في التوراة أن التابوت حوى الوعاء الذي يخص المنّ وعصا موسى ولوحي العهد وكان عليهما وصايا الله العشر ثم وضع بجانبه كتاب التوراة، وهذا يعني أن اللوحين وما حوياهما من تعاليم هو غير التوراة.

ولكن لابد أن نتساءل متى أنزلت التوراة؟ الواقع أننا لابد أن نشير إلى أن التوراة وهي تعاليم واسعة قد تلقاها النبي موسى شفاهية وعلمها بني إسرائيل ولكنها لم تكن مكتوبة مثل الكتاب.

---

(1) المرجع السابق/ الشرقاوي/ مقارنة أديان بحوث ودراسات ص 78.

وقد تنبأ النبي موسى عليه السلام بأن بني إسرائيل سوف يزيغون عن طريقه ويحرفون كلام الله، وقد جاء في سفر التثنية ما يشير إلى ذلك، فقد جاء على لسان موسى في هذا السفر ما نصّه: «**وقال الرب لموسى هوذا أيامك قد قربت لكي تموت ادع يشوع وقفا في خيمة الاجتماع لكي أوصيه فانطلق موسى ويشوع ووقفا في خيمة الاجتماع وقال الرب لموسى ها أنت ترقد مع آبائك فيقوم هذا الشعب ويفجر وراء آلهة الأجنبيين في الأرض التي هو داخل إليها فيما بينهم ويتركني وينكث عهدي الذي قطعته معه**» (تثنية 31: 14 ـ 16).

ويقول: فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب إلى تمامها أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلاً: «**خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم يكون هناك شاهداً عليكم لأني أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة هوذا وأنا بعد حي معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحري بعد موتي. اجمعوا إليّ كل شيوخ أسباطكم وعرفائكم لأنطق في مسامعكم بهذه الكلمات فأُشهد عليهم السماء والأرض لأني عارف أنكم بعد موتي تفسدون وتزيغون عن الطريق الذي أوصيتكم به**» (تثنية 31: 24 ـ 29).

وحسب هذا النص يشار إلى أن موسى عليه السلام قبل أن يموت بأيام كتب لبني إسرائيل هذه التوراة حسب ما جاء في النص. وهذا يعني أن كتاب موسى عليه السلام الذي آتاه الله في سيناء وفي جبل الطور تحديداً سبق كتابة التوراة بثمانين سنة.

وهذا ما نصت عليه التوراة.

لكننا نؤمن بأن الله سبحانه أنزل التوراة الأصلية على سيدنا موسى والأنبياء شفاهية من خلال الوحي وليس من خلال الكتابة في كتابه.

موسى عليه السلام وقصة البقرة:

يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ

يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾
قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ
يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ
فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾
فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة
البقرة: 67 ـ 73).

وقبل أن نتحدث عن القصة وأبعادها لابد أن نشير إلى بعض الأمور في هذه الآية:

1 ـ موسى عليه السلام يقول إن الله يأمركم، بينما هم يقولون ادع لنا ربك، ويكررونها ثلاث مرات، وكأن هناك فصلاً بين من يؤمن به النبي موسى ومن يؤمنون به، ويظهر أن العلاقة بين بني إسرائيل والله علاقة باهتة، أو هي علاقة هامشية. فرب موسى ليس لهم علاقة به ولو كان لهم علاقة به لقالوا ادعُ ربنا أو ادعُ إلهنا أو ادعُ الله. على العموم.

2 ـ وقوله تعالى وما كادوا يفعلون: دليل على أنهم ذبحوها وهم غير مقتنعين بكلام نبيهم.

3 ـ يظهر تماماً أنهم لا يعرفون لماذا أمرهم النبي موسى بذبح البقرة. ولكن الغاية منها أن يظهر مسألة أكبر من ذبح البقرة وهي كشف الجريمة التي حاولوا إخفاءها وإخفاء من فعلها.

أما القصة: فهي كما رواها ابن عباس وغيره. أن رجلاً من بني إسرائيل كان كثير المال وكان شيخاً كبيراً وله بنو أخ وكانوا يتمنون موته ليرثوه فعمد أحدهم فقتله في الليل وطرحه في مجمع الطرق، ويقال على باب رجل منهم. فلما أصبح الناس اختصموا فيه وجاء ابن أخيه فجعل يصرخ ويتظلم، فقالوا: ما لكم تختصمون ولا تأتون نبي الله. فجاء ابن أخيه فشكا أمر عمه إلى النبي موسى عليه السلام فقال موسى أنشد الله رجلاً عنده علم من أمر هذا القتيل إلا أعلمنا به، فلم يكن

obeikandi.com

عند أحد منهم علم منه وسألوه أن يسأل هذه القضية ربه عز وجل، فسأل ربه عز وجل في ذلك فأمره الله أن يأمرهم بذبح بقرة قالوا: أتتخذنا هزواً. يعنون نحن نسألك عن أمر هذا القتيل وأنت تقول هذا. قال المحدثون: لو أنهم عمدوا إلى أي بقرة فذبحوها لحصل المقصود منهم ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم. ويقال إنهم لم يجدوا البقرة بتلك الصفات إلا عند رجل منهم كان باراً بأبيه فطلبوها منه فأبى عليهم فأرغبوه في ثمنها. ثم ذبحوها. ثم أمرهم أن يضربوا ذلك القتيل ببعضها. فلما ضربوه ببعضها أحياه الله فقام وهو يشخب عروقه التي في العنق فسأله نبي الله موسى: من قتلك؟ قال قتلني ابن أخي، ثم عاد ميتاً. فبين لهم النبي موسى أن الله يحيي الموتى كما أحيا هذا الرجل وعليكم بالإيمان بالبعث وإحياء الموتى، لأنهم كانوا يشككون بإحياء الموتى، وكان إيمانهم ضعيفاً بذلك.

في سيناء عجائب ومعجزات وتمرد:

يورد القرآن الكريم العديد من الحوادث التي حدثت لبني إسرائيل في سيناء ويتضح منها أنهم كانوا يطلبون من النبي موسى أموراً في غاية الغرابة:

1 ـ الطلب من موسى عليه السلام أن يروا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون.

2 ـ ظلّل عليهم الغمام من حر الشمس.

3 ـ أنزل عليهم المن والسلوى.

4 ـ العصا تضرب حجراً فينفجر اثنتي عشر عيناً من الماء العذب.

5 ـ عدم صبرهم على طعام واحد.

طلب بنو إسرائيل من موسى أن يروا الله جهرة. لأنهم في مصر تعودوا أن يروا الآلهة الوثنية وقد مثلها المصريون ونصبوها في كل مكان، بل ألّهوا فرعون واعتقدوا أنه الإله أو ظلُّ الإله في الأرض لذلك طلبوا أن يتعرفوا على إله موسى لاعتقادهم أنه مثل آلهة المصريين وهذا دليل على عدم إيمانهم القطعي بالله الواحد الأحد، لذلك أخذتهم الصاعقة فماتوا الموت الأصغر وهو النوم لشدة الهول، ثم أحياهم الله.

وظلّل عليهم الغمام ليقيهم حر الشمس في الصحراء فما ظلوا على عهده، ثم طلبوا من النبي موسى أن يستبدلوا طعامهم فسخر منهم موسى وغضب غضباً شديداً وقال لهم: اهبطوا إلى أرض مصر ستجدون ما تشتهون. وقوله دليل على أنهم تعوّدوا الذل والإذلال. وقد كتبت عليهم الذلة سبحان الله.

موسى عليه السلام والعبد الصالح

تبرز لنا قصة موسى والعبد الصالح في القرآن الكريم ولا نجد لها أثراً في كتاب التوراة وهي قصة عظيمة تعلم الإنسان مهما كانت منزلته أن يتأدب أمام الله ولا يدعي أنه عالم بكل شيء.

أجمع عدد من المفسرين على أن العبد الصالح هو الخضر عليه السلام، ويدعي أهل التوراة أن هذا العبد الصالح هو الخضر وأن الذي التقاه غير النبي موسى عليه السلام، وهو رجل يُدعى موسى بن ميشا بن يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليه السلام.

والصحيح ما دل عليه سياق القرآن ونص الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ من أن موسى هو نفسه النبي موسى بن عمران صاحب بني إسرائيل، وقد ورد ذلك في صحيح البخاري. وقد كذبهم ابن عباس حيث قال (كذب عدو الله) ويعني الذي نقل رواية أن موسى هو غير النبي موسى عليه السلام.

وقد وردت قصة النبي عليه السلام والعبد الصالح في سورة الكهف دون غيرها. وجاءت الآيات مفصّلة للحدث.

يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ
أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا
جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى
ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾
قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ

obeikandi.com

عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾
قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ
ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا
﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾
قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا
﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞
قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ
بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا
فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى
وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ
فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ
فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا
﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا
فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ
مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ (سورة الكهف: 60 ـ 82).

هذا ما ورد في كتاب الله من قصةٍ تدور أحداثها مع النبي موسى والعبد الصالح.

وهذا ملخص ما فهمنا من آيات الله:

وقف النبي موسى عليه السلام خطيباً في بني إسرائيل مذكراً إياهم بأيام الله بعبارات تثير وتبعث الشؤون (شؤون العين: مجاريها) ففاضت العيون ورقت القلوب. ولما انتهى من قوله تعلق بأهدابه رجل وقال: أي رسول الله هل في الأرض من هو أعلم منك؟ قال: لا. أليس هو كبير أنبياء بني إسرائيل وقاهر فرعون، أو ليس هو صاحب اليد والعصا. وبعصاه انفلق البحر. أليس الله قد شرّفه بالكتاب والتوراة وكلمه فأي غاية أبعد من هذه الغاية. وأي شرف أسمى من هذا الشرف؟

ولكن الله أوحى إليه أن العلم أعظم من أن يحويه رجل أو ينفرد به رسـول، وأن في الأرض من خصّه الله بعلم أوفر من علمه ونصيب من الإلهام أوفر من نصيبه. قال: يا رب أين مكانه. لعلي ألقاه. فأصيب قبساً من علمه أو فيضاً مـن إلهامـه ويقينـه قـال: تلقاه بمجمع البحرين. قال: اجعل لي عَلَماً يدلني عليه وآية ترشدني إليه. قال: آية ذلك أن تأخذ حوتاً في مكتل فحيث فقدت الحوت فقد وجدت الرجل.

فأخذ موسى للأمر عدته واصطحب فتاه وحمله المكتل ووضع الحوت فيه كما أوحي إليه وظل سائراً وقبلته الرجل وأخذ على نفسه عهداً أنه سيظل مُجداً في الـسير ممعناً في الطلب حتى يبلغ هذا المكان ولو مضت عليه الأيام أو تعاقبت الـسنون ثـم آذن الفتى أن يخبره إذا فقد الحوت.

ولما بلغ مجمع البحرين في المكان الذي أراد الله أن يلتقي فيه نبي بني إسرائيـل بعبده الصالح أخذت موسى سِنة من النوم وفي أثنـاء نومـه أمطـرت الـسماء فابتـل الحوت وانتفض وسرت إليه الحياة ثم قفز إلى الماء.

واستيقظ موسى عليه السلام ونادى الفتى: هيـا نواصـل الـسير والـسُّرى. وأنـسى الشيطان الفتى ما كان من أمر الحوت وتابعا الـسير إلى أن أدركهـما التعـب وأحـسّا بالجوع. فقال موسى لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً.

ولما هم أن يأخذ الغداء من المكتل تذكر ما كان من أمر الحوت وذهابه في الماء فقال: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة وحين غشاك النعاس فإن الحوت قد اتخـذ سـبيله إلى الماء ونسيت أن أذكرك وما أنساني إلا الشيطان.

وحينئذٍ لاحت لموسى شارة الظفر ووجد ريح الرجـل فقـال: ذلـك مـا كنـا نبغيه وننشده، هيا بنا نعدْ إلى هذا المكان فإننا سنصيب الغاية ورجعـا يتابعـان الأثـر ويتعرفان الطريق ولما وصلا إلى حيث فقد الحوت وجدا رجلاً نحيـل الجـسم غـائر العينين عليه دلائل النبوة وفي وجهه فيض من السماحة والتقوى وقـد سُـجّي بثوبـه وجعل طرحه تحت رجليه وطرفه الآخر تحت رأسه، فسلم عليه موسى فكشف عن وجهه. وقال: هل بأرضي من سلام؟ من أنت؟ قال: أنا موسى فقال: موسى نبي بني

obeikandi.com

إسرائيل؟ قال: نعم. ومن أعلمك بهذا؟ قال: الذي بعثك إلي. فعلم موسى أنه ضالته التي ينشدها. فتلطف في القول وتجمل بأحسن ما وهبه الله من أدب الحديث وفضل التواضع. وقال: هل تأذن أيها العبد الصالح لرجل جاهد في سبيل لقائك ولقي العناء حتى أصاب موضعك أن تفيض عليه من علمك وأن تقبسه شيئاً من هديك على أن أتبعك وأسير في ظلك وألتزم أمرك ونهيك.

قال له العبد الصالح: إنك لن تستطيع معي صبراً ولو أنك صحبتني فإنك سترى ظواهر عجيبة وأموراً غريبة وسترى أموراً منكرة في ظاهرها وإن كانت حقاً في باطنها ولكنك بما ركب الله في البشر من إلف القيل والقال والجنوح إلى البحث والجدال سوف لا تسكت عن الاعتراض ولا تتورع عن الامتعاض وكيف تصبر على ما يخرج عن مألوفك ويتجاوز معروفك فقال له موسى وكان حريصاً على العلم تواقاً إلى المعرفة: ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً. قال الخضر: إن صحبتني آخذ عليك عهداً وشرطاً أن تأخذ عدتك من الحزم والصبر ونصيبك من الجلد وضبط النفس فلا تبتدرني بسؤال ولا تثر أمامي أي اعتراض حتى ينقضي الشرط وتنتهي الرحلة وإني بعدها سآتي على ما في نفسك وأشفي ما بصدرك.

فقبل موسى الشرط وقيد نفسه بذلك العهد وسارا على الساحل حتى لمحا سفينة في البحر فطلبا من أهلها حملهما إلى حيث يذهبون ولما قرؤوا السماحة في وجهيهما ورأوا بريق النبوة يلمع في عيونهما حملوهما على غير أجر وبالغوا في إكرامهما والحفاوة بهما.

وبينما هما في السفينة وعلى حين غفلة من أهلها أخذ الخضر لوحين من خشب السفينة فخلعهما فهال موسى وهو الرسول الكريم الذي أرسل لهداية الناس وردِّ عادية الظلم عنهم أن يقابل صنيعهم بالإساءة وجميلهم بالنكران وخشي أن يصيبهم غرق أو هلاك فنسي عهده وشرطه وصاح: أتعمد إلى قوم أكرموا وفادتنا وأحسنوا لقاءنا فتخرق سفينتهم وتحاول إغراقهم لقد جئت شيئاً إمراً.

فالتفت الخضر إليه وما زاد على أن ذكره بشرطه وما قدره من قبل أنه سوف لا يصبر على سؤال ولا يسكت عن مراء وقال: ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا. وحينذاك أدرك موسى ما وقع فيه من خطأ وما تورط فيه من نسيان. فاعتذر إليه واستغفره من نسيانه وقال لا تؤاخذني بما نسيت ولا تحرمني شرف الصحبة وفضل المرافقة وسأكون بعد الآن كما شرطت. وغادرا السفينة وتابعا السير فوجدا غلاماً وضيئاً يلعب مع لداته وأقرانه فأخذه الخضر بعيداً ثم أضجعه وقتله ففزع موسى من هذا القتل وكبر عنده ذلك الإثم إذ رأى غلاماً يافعاً قد يكون وحيد أهله ورجاء والديه يقتل من غير قود ويسفك دمه من غير إثم على يدي رباني كريم وإمام من أئمة الدين فتحلل من عهده وأطلق نفسه من ميثاقه وقال: ما هذا المنكر الذي تأتيه والإثم الذي ترتكبه أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً. فالتفت إليه الخضر ولم يزد على أن ذكره بعهده وما كان من شرطه وما قدره مما سيكون من سؤاله عما لا يعرف وامتعاضه مما لا يألف قائلاً: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا، وهنا استحيا وأدرك أنه قد أثقل على هذا العبد الصالح وكان خليقاً به أن يدرع بالصبر ويمسك لسانه عن الجدل حتى يفصح له بعد عما خفي من أمره وما تشابه عليه من علمه. وخشي إن تمادى أن يقع منه على موجدة أو كراهية. فاتخذ لنفسه شرطاً ألا يعجل بالسؤال بعد الآن وإلا فإن رفيقه في حل من مرافقته وقطع صحبته. وقال: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً. وانطلقا على هذا الشرط حتى أدركهما الطوى ونال منهما النصب والكلال وصادفا قرية في طريقهما فدخلاها طمعاً في زاد يعينهما على السفر ويمسكهما على الجوع ولكن أهلها بما كانوا عليه من لؤم الأصل وبخل النفس أبوا أن يضيفوهما وردوهما رداً غير جميل فلم يجدا عندهم مأوى ولا طعاماً وخرجا جائعين ساخطين وقبل أن يجاوزا القرية وجدا جداراً يتداعى للسقوط فأقامه الخضر وأصلح من شأنه فقال: عجباً! أتجاري هؤلاء القوم اللؤماء الذين أساؤوا اللقاء بهذا الإحسان لو شئت لاتخذت على عملك هذا أجراً نسدّ به حاجتنا ونحفظ به على الحياة أنفسنا، قال

الخضر وقد آمن بأن موسى سوف لا يستطيع بعد الآن صبرا (هذا إفراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا.

أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فيصيبون منها رزقاً يعينهم على الكسب ويقطعون به مغازة الحياة ولكن ملكاً ظالماً كان يتبع كل سفينة صالحة يأخذها من أهلها عنوة ويستولي عليها غصباً فأردت أن أعيبها رفقاً بهم ورحمة لهم حتى إذا شهدها الملك تركها لعيبها فهذا عمل إن كان ظاهره الفساد ففي باطنه رحمة وإن كنت قد حسبته نكراً فإنما هو حفظ للمساكين وإبقاء على حياة هؤلاء البائسين. وأما الغلام فكان وقّاحاً مبغضاً من الناس وكان أبواه مؤمنين وبها فطر الله الآباء على حب الأبناء والدفاع عنهم بالحق وبالباطل خشيت أن يحملهما هذا على التعصب له والميل إلى طريقته فينتهيا إلى الطغيان والكفر فقتلته حفظاً لدينهما ورجاءً من الله أن يرزقهما خيراً منه زكاة وأقرب رحما، وأما الجدار فقد علمت من الله أن تحته كنزاً ليتيمين صغيرين تحدرا من رجل صالح كريم فأردت أن أحمي هذا الجدار حتى يشتد أزرهما ويقوى على الحياة أمرهما فيستخرجا كنزهما مالا حلالاً طيباً لهما. وما فعلت هذا بعلمي ولا برأيي ولكنه وحي من الله وهدى منه ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا.

بعد أن أوردنا قصة موسى عليه السلام مع الخضر أو العبد الصالح لابد لنا من وقفة مع بعض القضايا والمعطيات التي نستشفها من الآيات الكريمة:

1 ـ يستشف من القصة أن النبي موسى عليه السلام بعد أن راح يعلم بني إسرائيل التشريع ويطبق فيهم ما أمر الله به ظن أنه استفرد بالعلم وصار العالم الأوحد بعد أن تلقى الرسالة. وعندما نعود إلى جغرافية المكان نرى أن النبي موسى ظل مع بني إسرائيل بالقرب من جبل الطور أو طور سيناء الذي يقع في جنوبها.

ونحن نعلم أن الله أجرى لموسى عليه السلام المعجزات وهو عند فرعون. وفعلت عصاه بإذن الله المعجزة تلو الأخرى، ثم لما دخل سيناء مع بني إسرائيل تلقى الرسالة بعد ميقات ربه فظن أنه اكتمل وحاز من الله ما لم يستطع إنسان أن يحوزه.

وعندما أوحى له الله أن عبداً صالحاً من عباده الخاصين أعلم من موسى وقال له اذهب لتلاقيه عند مجمع البحرين. وكان النبي موسى هامّاً للقاء العبد الصالح ولو كلفه أن يمشي سنين طويلة.

2 ـ أما مجمع البحرين فقالوا هو بحر الروم ـ الأبيض المتوسط ـ وبحر القلزم ـ الأحمر ومجمعهما مكان التقائهما في منطقة البحرات المرة وبحيرة التمساح.

وهذا الرأي مرفوض لأنه لم يكن هناك جامع يجمع البحرين ولا كانت قناة السويس موجودة والمسافة بين المتوسط والأحمر أكثر من مائة وخمسين كيلومتراً. قبل شق قناة السويس.

والرأي الأرجح هو مجمع خليجي السويس والعقبة في زاوية سيناء الجنوبية الغربية ونعتقد أن اللقاء الذي تم بين النبي موسى والخضر عليهما السلام كان عند صخرة تقع على شاطئ البحر عند انقسام البحر الأحمر إلى خليج السويس وخليج العقبة.

ويدعم ذلك قوله الله سبحانه (ركبا في السفينة) فالسفينة تحتاج إلى بحر أو نهر وغَرقُ السفينة في البحر أقوى من غرقهما في النهر لاحتمال ضحالة الماء في النهر ويدعم ذلك قوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلۡبَحۡرِ سَرَبًا﴾ وقوله: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلۡبَحۡرِ عَجَبًا﴾.

أما كيف عادت الحياة إلى الموت فهناك عدة آراء أهمها أن شيئاً من ماء عين تسمى عين الحياة سقطت على الحوت. ولكن الأسلم أن الله سبحانه أجرى معجزة إحياء الحوت لكي تتم علامة اللقاء بين موسى ﷺ والخضر أو العبد الصالح.

من هو فتى موسى: ذكر بعض المفسرين أن يوشع بن نون كان فتى موسى. وقد ذكرت التوراة ليشوع بن نون سفراً من التوراة العبرانية وهو السفر السادس وقد ورد في صحيح البخاري أن يوشع بن نون كان فتى موسى. وفي فتح الباري أن يوشع هو الذي قام في بني إسرائيل بعد موت موسى ونقل ابن العربي أنه كان ابن أخت موسى.

لكن هناك تناقضاً صارخاً في هذه الشخصية، ففي التوراة يأتي السفر السادس باسم سفر يشوع. وفي هذا السفر تجسّد التوراة كل أنواع الجرائم في شخصيته فهو يأمر بني إسرائيل بحروب الإبادة بحق أرض كنعان. وحسب النص التوراتي يقوم يشوع بأكثر من ثلاثين مجزرة دموية، في أريحا والخليل وضواحي القدس وغيرها من المناطق الداخلية في فلسطين.

وبغض النظر عما إذا كان ما ورد في التوراة من نسج خيال المؤلف أم غير ذلك، إلا أننا حين ندرس شخصية يشوع كما هي في التوراة. نرى رجلاً دموياً مجرماً لا يحلل ولا يحرم. وهذا لا يمكن أن يتجانس مع فتىً رافق موسى وأضاعه وتعلم منه الكثير من التربية النبوية.

فإما أن يكون فتى موسى يشوع المهذب التقي الذي يعرف الله وحدود الحرام والحلال ولا يكون هو نفسه من أجرى المذابح المتخيلة أو غيرها.

وإما أن يكون فتى موسى شخصاً آخر غير يشوع لأنه لا يمكن أن تكون هذه الشخصية هي نفسها في الحالتين.

وقد أورد بعض المفسرين أن يشوع كان نبياً غير مرسل. ونعتقد أن هذا من الأخطاء القاتلة التي وقع فيها هؤلاء. لأن يشوع لم يرد بنبوته شيء من القرآن. وأكثر ما اعتمدوا في ميلهم لنبوته هو من الإسرائيليات.

أما إذا عدنا إلى آيات سورة الكهف فإننا نتوقف عند عدة أمور.

إن ما ورد في سورة الكهف يؤكد الدروس التربوية العظيمة لمن يريد أن يتعلم، أو يتربى تربية دينية صحيحة، فهذا هو النبي موسى الذي قدم أعظم درس في التواضع والتربية النبوية العظيمة.

فهو كما يظهر له من ظاهر الأمور أن العبد الصالح أتى على أشياء تخالف الشرع فاحتج وهذا حقه لأنه أخذ بظاهر الشرع.

فموسى يحتج على قتل الغلام، فكيف تجيز التوراة أوامر موسى بالقتل وإبادة الشعوب إذا كان موسى قد احتج على قتل غلام واحد. فكيف تجيز التوراة لنفسها أن تنسب لموسى أوامر بقتل قبائل فيها الأطفال والنساء والشيوخ؟

إن نكران التوراة للقاء موسى بالعبد الصالح يأتي من خلال موقف سلبي تجاه القصة، فهم لا يريدون أن يقولوا إن موسى الذي بلغ ما بلغ عندهم يمكن أن يكون هذا حاله مع رجل آخر قد لا يكون نبياً. فهو عالم العلماء الذي لا يحتاج لعلم من غيره، ثم إن التوراتيين الذين يؤمنون بكل شيء محسوس ولا يؤمنون بما وراء ذلك ينكرون هذه القصة ومجريات الأحداث فيها؛ لأن فيها ما هو خلف المحسوس وذلك يخالف ما آمنوا به من ظاهر الأشياء.

وفي عالمنا وعقيدتنا أن الله سبحانه إذا أراد أن يكمّل نبوة نبي أدّبه واستمر برعايته حتى النهاية. وهذا ما نقوله لهؤلاء التوراتيين. إن موسى هو نفسه الذي أعلمنا الله بشخصيته وتاريخه وصراعه مع الباطل وتربيته النبوية العظيمة وليس موسى التوراتي الذي اتهموه بالكذب والقسوة والخداع والإجرام.

وهناك ملاحظات أخرى يجب أن نفهمها:

1 ـ إن النبي موسى والعبد الصالح ركبا السفينة قبل أن تجري في البحر ولم يغادرا الشاطئ.

2 ـ إن الملك الذي كان يأخذ كل سفينة غصباً. غير معروف لدينا. ونحن نخمّن أن هذا الملك كان ملكاً لمنطقة تقع في جنوب غرب سيناء أو أنه ملك على البر المصري الذي لا يبعد كثيراً عن منطقة لقاء موسى بالعبد الصالح.

3 ـ إن المنطقة التي جرت فيها الأحداث. السفينة. وقتل الغلام. والقرية كانت منطقة متقاربة وجميعها يقع في الجزء الجنوبي من سيناء.

4 ـ من الواضح أن سيدنا موسى عليه السلام بعد أن تركه العبد الصالح عاد إلى بني إسرائيل ليتابع مسيرة الدعوة والهداية وتثبيت التشريع في قلوب قومه ونفوسهم.

5 ـ إن فتى موسى انقطعت أخباره بمجرد أن التقى النبي موسى بالعبد الصالح حيث لم يظهر على ساحة الحدث. فالأحداث كانت مقتصرة على اثنين ولم يكن معهما ثالث ونعتقد أن فتى موسى لم يرافقهما. ولو رافقهما لأفسد عليهما الدرس إذ أن النبي موسى لم يحتمل ما رأى فكيف بفتاه أن يحتمل ما

obeikandl.com

جرى من أفعال قام بها العبد الصالح. من خرق للسفينة أو قتل الغلام. أو إقامة الجدار.

وقد أوردت بعض الكتب والمصادر أن موسى طلب أن يوصيه العبد الصالح، فوصاه بكثير من الوصايا العلمية والأدبية. ونحن هنا لا نحتاج لهذا لخروجه عن موضوع الدراسة.

obeikandl.com